كرد علي

للقصصي الروسي بوشكين

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

« كرد علي » بلغاري بمولده . وهذا اللقب في اللغة التركية يطلق على ذوي الجرأة والقوة ، ولا أعرف ما هو أصل الاسم الذي يتسمى به بطل هذه القصة فقد أطلق عليه لقب « كرد علي » وعرف به وأصبح شخصية مخوفة مرعبة في أنحاء « مولدافيا » لكثرة ما ارتكبه من العدوان

ولما أعلن اسكندر أبسلانتي الثورة وأخذ في حشد المتطوعة جمع له كرد علي أصحابه القدامى من قطاع الطرق ومن على شاكلتهم . وكان هؤلاء لا يدركون حقيقة السبب في نشوب الثورة فقد كان مثيرها ينبي من ورائها تحرير اليونان . ولكنهم كانوا يرون في الحصول على الثروة من أسلاب الأتراك أو أهل مولدافيا سبباً كافياً لنشوب أية ثورة

وكان اسكندر أبسلانتي شجاعاً ، ولكن لم يتوافر لديه من الصفات ما يكفي لتنفيذ المهمة التي اضطلع بها ، فلم يستطع السيطرة على رجاله الذين لم يكونوا يحترمونه ولم يكونوا يثقون به

وبعد الموقعة التي أفنى فيها زهرة الشباب اليوناني أشار عليه يوردا كي أنبيوتي بالتخلف . وتولى هو مكانه . وهرب أبسلانتي إلى حدود النمسا ثم أرسل لعناته إلى الشعب الذي كان يقوده واصفاً رجاله بأنهم خونة جبناء أسافل

ولكن هؤلاء الموصوفين بالخيانة وبالجبن هلكوا تحت أسوار معبد سيكوا أو على ضفاف نهر بروث وهم يدافعون دفاع المستميت جيشاً يربو عدده على عشرة أمثال عددهم

وكان كرد علي في فرقة جورج كانتا كوزين الذي يصح أن يقال عنه ما قيل عن ابسلانتي

وفي الليلة التي حدثت فيها موقعة أسكولانا استأذن كانتا كوزين السلطات الرسمية ، وتخلف عن فرقته منضماً إلى جيشنا فبقيت فرقته بغير قائد ، ولكن كرد علي وسفيا نوس وكانتا جوني وغيرهم لم يكونوا بحاجة إلى قائد

ولم توصف موقعة اسكولانا على ما يظهر بالوصف الذي تستحقه فتخيل سبعمائة رجل من الألبان واليونان والبلغار وحشالات كل الأجناس وليس فيهم من يعرف شيئاً عن فنون الحرب . . . تخيل هؤلاء أمام خمسة عشر ألف

فرس من فرسان الجيش التركي العظيم

عسكرت هذه الفرقة أمام نهر بروث وأمامها مدفعان قلّ فى الفرقة من يعرف كيف يستعملان . وكان بود الأتراك أن يبدأوا باطلاق النار ولكنهم فى تشبث وعناد أرادوا أن نكون نحن البادئين

وكان قائدنا بحمد الله لم يسمع قط صوت رصاصة تطلق ، فلما بدأ الجيشان باطلاق الرصاص فى الهواء نفر سمعه ، ونفد صبره ، وتقدم جيشنا متوعداً الجيش التركي بسبابته ثم ارتبك فلم يعرف ماذا يفعل . ثم بدا له أن يجرى فجرى على شاطئ النهر وجرى وراءه جيشه . وفى أثره كتلة الجيش التركى .

وكان هذا القائد الذى هدد جيش الترك بأصبعه يدعى خوتشفسكى ولا أعرف ماذا صار إليه أمره

وفى اليوم التالى هاجم الأتراك جيش الثوار . وعلى خلاف عادة الترك لم يستعملوا المدافع ، بل استعملوا السلاح الأبيض ، فكنت ترى الرمح فى يد كل جندى . ولم يكن الأتراك قد استعملوا الرماح من قبل ، وكانت رماحهم روسية سلبوها من جنودنا في موقعة سابقة . جرح كرد على فى تلك الموقعة ، وقتل سفيانوسى . وكان كانتاجوزى عظيم الجسم فأصابته حربة فى بطنه فاستل سيفه باحدى يديه ، وقتل نفسه حتى لا يموت بسلاح العدو .

وبانتهاء هذه الموقعة تم النصر للأتراك . وخلت مولدافيا من الثوار إلا ستمائة ألبانى تشردوا فى أنحاء بساربيا . ومع أنهم كانوا لا يكادون يحصلون على القوت فانهم كانوا شاكرين حماية روسيا . وكانوا يرون جلوساً فى المقاهى الصغيرة في بساربيا التركية الروسية وعلى أفواههم أقداح القهوة . وقد أخذت الرثاثة تبدو على أكسيتهم الملونة وأحذيتهم الحمراء . ولكن طرابيشهم الحمراء المطوية ذات الزر الطويل كانت لا تزال مائلة إلى أحد الجانبين . وكانت الخناجر والمسدسات لا تزال على مناطقهم ، ولكن أحداً لم يشك فيهم ، فقد كان من المحال أن يتصور إنسان أن هؤلاء الساكين بقية من ثوار مولدافيا زملاء كرد على وأن كرد على نفسه كان بينهم

على أن الباشا التركى علم بهذه الحقيقة وطلب إلى السلطات الروسية عملاً بالمعاهدات أن تسلمهم إليه فاعتقلتهم ولم ينكر كرد على شخصيته ولم ينكر ماضيه وقال :

« ولكننى منذ عبرت نهر بروث على أثر الموقعة لم أمد يدى على أى إنسان ، وقد يكون الأتراك وأهل مولدافيا محقين فى عداوتهم إياى لأنى كنت أقطع الطريق عليهم ، ولكننى ضيف على الروس فلماذا يسلمونني إلى أعدائى ؟ »

وبعد هذا القول لزم الصمت وانتظر فى هدأة ما تقضى به الأقدار فى شأنه . ولم يطل أمد انتظاره فإن السلطات لا تنظر إلى قطاع الطرق نظرة العطف التى يلقيها عليهم الكتاب والشعراء لا تصرافهم

إلى الجانب الروائى من حياتهم . ومن أجل ذلك سيق كرد على مكبلاً بالحديد إلى السجن فكان يبدو من النظر إلى وجهه أنه ابن الثلاثين . وقد كان طويل القامة عريض الكتفين عظيم القوة عليه علائم الخشونة ، وفى نظراته زهو وهدأة .

ودخل غرفته فى السجن موظف تركي أحمر الوجه أشيب الشعر يرتدى ثوباً عسكرياً قد سقطت منه ثلاثة أزرار . وفى وجهه كتلة حمراء من اللحم مثقوبة تقوم فى ذلك الوجه مقام الأنف . وكان فى يده أوراق أخذ يتلوها وهو بين حين وحين ينظر إلى كرد على وهو يصغى إليه باهتمام .

وبعد أن فرغ الموظف من القراءة طوى الأوراق وصاح في خشونة بأن يحمل السجين إلى مدينة جاسى ، فالتفت كرد على إلى الموظف وتمتم فى صوت يتهدج ، وقد تساقطت من عينيه العبرات وتغير شكله تغيراً عظيماً ؛ وعرته رعشة جعلت لأصفاده وأغلاله رنيناً أزعج الموظف فتقهقر ثم صدع السجين بالأمر فاستسلم للجنود الذين حملوه إلى عربة جرت به فى الطريق .

قال موظف صغير لذلك الموظف العسكرى : « ما الذى قاله لك كرد على؟ » فأجاب وهو يبتسم : « لقد طلب إلىّ أن أعنى بزوجته وبابنه اللذين يعيشان غير بعيد فى مدينة كيليا وهي من قرى بلغاريا فإنه يخشى أن تؤذيهما الجماهير بسببه فإن الجماهير حمقاء .

ووصل كرد على إلى مدينة جاسى فحوكم أمام الباشا فحكم باعدامه ، ولكنه أرجأ موعد التنفيذ إلى يوم عيد . وحجز المحكوم عليه فى السجن إلى أن يحين الموعد .

وتولى حراسته فى السجن سبعة أتراك هم فى صميم أنفسهم لا يختلفون شيئاً عن كرد على لأنهم قطاع طريق مثله . ولذلك كانوا يحترمونه ويصغون فى دهشة ولذة إلى ما يقصه عليهم من الأحاديث

ونشأت بين السجين وبين حراسه مودة وصداقة . وفي يوم من الأيام قال لهم كرد على : « أيها الاخوان ! إن ساعتى قريبة وليس يستطيع إنسان أن يفر مما قدر عليه ، فساتركم ولكنى أريد أن أترك لكم أثراً تذكرونني به »

أرهف الأتراك آذانهم ليسمعوا ، واستمر كرد على يقول : « أيها الاخوان : منذ ثلاثة أعوام كنت من قطاع الطريق فى منسر ميخالاكي . ودفنا بالقرب من هذه المدينة آنية مملوءة بالمال . ثم منعتنا ظروف الثورة والحرب عن أن نستردها وسأدلكم عليها فهي لكم »

كاد الأتراك أن يفقدوا حواسهم ، وكان السؤال الوحيد الذى يخطر ببال كل منهم هو كيف يستطيع الوصول إلى مكان هذه الآنية . ورأوا أنهم لا يستطيعون ذلك إلا بارشاد السجين نفسه . فلما أقبل الليل ، فكوا الحديد عن يديه ورجليه وربطوه بحبل ثم أطلقوه وساروا خلفه خارجين من المدينة

قادهم من مكان إلى مكان فمشوا مسافة طويلة .

وأخيراً وقف أمام صخرة عظيمة . وقال : هنا تحت هذه

وقف الأتراك يتدبرون . ولما استقر رأيهم أخرج أربعة منهم الخناجر ، وأخذوا يحفرون بها حول الصخرة . وبقى ثلاثة منهم فى الحراسة . وجلس كرد علي فوق الصخرة ينظر ويترقب ؛ ثم قال بعد مدة : ألم تجدوها ؟ فقالوا : كلا

فأظهر أنه فقد صبره وقال : من أي نوع من الناس أنتم حتى حفر الأرض لا تستطيعونه ؟ إننى كنت أفرغ من عملكم هذا فى دقيقتين . حلوا وثاق وأعطونى خنجراً

فكر الأتراك ثم قالوا ؛ أى ضرر فى إجابته إلى ما يطلب ؟ نحن سبعة ؛ فلنحل وثاقه ولنعطه خنجراً .

وما أغرب الشعور الذى شعر به عند ذلك ! لقد تناول الخنجر وأخذ يحفر . وفي أثناء عمله أغمد الخنجر فى صدر أحدهم وتركه فى صدره واختطف من منطقة المصاب مسدسين

وما زال كرد علي إلى اليوم يقطع الطريق بالقرب من جاسى ، وقد كتب منذ أيام إلى حاكم المدينة يطلب إليه أن يترك فى مكان عينه خمسة آلاف ليرة ، متوعداً بأنه إن لم يرسلها فهوميت لا محالة

وقد أرسل إليه هذا المبلغ

وهذا هو كرد على

عبد اللطيف النشار

علمكم المصرى يرفرف على
النيل و كوثر
فهما رمزا بلادكم
سافروا عليهما تجدوا راحتكم المنشودة
غرف فاخرة . . طعام شهى . . خدمة كاملة
اتصلوا بشركة مصر للسياحة
شارع ابراهيم باشا رقم ٤٩